من أخلاق السلف الصالح

عبد الله بن عبد الحميد الأثري

مصدر هذه المادة :





من أخلاق السلف الصالح

«أهل السنة والجماعة»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الدعوة إلى منهج السلف الصالح – أهل السنة والجماعة – في فهم الدين؛ تهدف إلى بناء جيل موافق للجيل الأول الذي تتلمذ وتربى على يد رسول الله ﷺ من جميع النواحي، وكان النبي ﷺ أسوة وقدوة حسنة للناس في الواقع يرونه يتحرك بينهم، وتتمثل فيه جميع مكارم الأخلاق والأفعال والأقوال؛ فكان ﷺ يقول في دعائه: **«اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت» [رواه مسلم]**.

ولذلك فإن الله تعالى قد أدبه فأحس تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، فكان المثل الأعلى في الكمال البشري، وقد زكاه الله تعالى وعظّم شأنه وشهد له قوله جل شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وصدق وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في إجابتها لمن سألها: يا أم المؤمنين؛ أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ! قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن) **[رواه مسلم]**. ومعنى هذا أن النبي صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجية له، وخلقًا يطبعه، هذا مع ما جبله الله تعالى عليه من الخلق العظيم، فأصبح ﷺ إمامًا في مكارم الأخلاق والأفعال والأقوال

يقتدي به؛ لأنه ﷺ لم تكن له همة سوى رضا الله تعالى؛ فاجتمعت فيه ﷺ جميع مكارم الأخلاق التي أرسل لإتمامها وإرساء قواعدها وبيان معاليها، قال النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» **[صحيح: رواه الإمام أحمد]**.

فالنبي ﷺ مثل الأسوة والقدوة الحسنة؛ فإن المتأسي به سلك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ **[الأحزاب: ٢١]**.

ألا يدل هذا على أن للأخلاق دورًا هامًا في إنشاء مجتمع رباني على طراز الرعيل الأول؛ الذين اختارهم الله تعالى لنبيه ﷺ أصحابًا، وهم خير قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم؛ بلغوا دعوته، وحفظوا سننه، وورثوا عنه ﷺ مكارم الأخلاق، ونقلوه لمن بعدهم، وقد اعتنى هؤلاء الأخيار بتدوين سنة النبي ﷺ ومنها ما يتعلق بأخلاقه وشمائله؛ وأفردت لها التصانيف، وأورد فيها كل ما يتصل بأخلاقه وصفاته بكل دقيقها، وإلى جميع آحاد حسن خلقه ﷺ.

فالسلف الصالح اقتدوا برسول الله وتخلقوا بأخلاقه وامتثلوا أوامره، وكانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ **[آل عمران: ١١٠]**.

إذًا ليس المقصود بالدعوة لمنهج السلف الصالح مجرد موافقتهم في العقائد كما يظن البعض – وإن كانت العقائد هي الأصل الأول والأهم – ولكن المقصود أن نوافقهم في كل أمر من أمور ديننا

العظيم: في العقائد والأحكام والمعاملات وفي غيرهـا؛ لأن منـهج السلف الذي ندعو الناس إليه ليس علمًا في الذهن المجـرد، وإنما يشمل منهجهم في العقيدة والتصور والسلوك والأخلاق؛ بـل في جميع الأقوال والأفعال، ومع الأسف الشديد أننا نجد — في عصرنا الحاضر — أن هذا الأمر المهم من منهج السلف لم يأخذ حقه مـن الاهتمام والعناية والتربية! أو بقي في الجانب النظري دون أن ينزل إلى واقع المسلمين وخصوصًا عند الدعاة، فترى شخصًا على عقيدة السلف في التوحيد ومحاربة البدع، ولكنه يخالف سلوكهم؛ باقترافه للظلم والكذب والغيب والحقد والشحناء وعدم الأمانـة واتبـاع الأهواء، ومنها وجب على جميع المخلصين لهذه الـدعوة المباركـة إشاعة منهج السلف بشكل شامل، وتربية الـنشء عليـه، قـولاً وعملاً، فكما أنه لا يقبل من أحد أن يلتزم بأخلاق السـلف دون معتقدهم، كذلك لا يصلح فهم معتقدهم دون الالتزام بسـلوكهم وأخلاقهم.

وخلاصة القول: إذا أردنا النجاة فعلينا الالتزام ما كان عليـه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.



من أخلاق السلف الصالح

لأهمية الأخلاق والسلوك عند السلف الصالح – أهل السنة والجماعة – قد جعلوها من أصول العقيدة ودرجوها في كتب العقائد، فمن أصول عقيدتهم:

أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بأن خيرية هذه الأمة باقية بهذه الشعيرة المباركة، وأنها من أعظم شعائر الإسلام، وسبب حفظ جماعته، وأن الأمر بالمعروف واجب بحسب الطاقة، والمصلحة معتبرة في ذلك، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» **[رواه مسلم]**.

وأهل السنة والجماعة: يرون تقديم الرفق في الأمر والنهي، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ **[النحل: ١٢٥]**.

ويرون وجوب الصبر على أذى الخلق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ **[لقمان: ١٧]**.

وأهل السنة: حين يقومون بالأمر المعروف والنهي عن المنكر فإنهم يلتزمون في الوقت نفسه أصلاً آخر هو الحفاظ على الجماعة، وتأليف القلوب، واجتماع الكلمة، ونبذ الفرقة والاختلاف.

وأهل السنة والجماعة: يرون النصيحة لكل مسلم، والتعاون على البر والتقوى. قال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**» [رواه مسلم].

وأهل السنة والجماعة: يحافظون على إقامة شعائر الإسلام؛ كإقامة صلاة الجمعة والجماعة، والحج، والجهاد، والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا، أو فجارًا؛ خلافًا للمبتدعة.

ويسارعون إلى أداء الصلوات المكتوبة، وإقامتها في أول وقتها مع الجماعة، وأول الوقت أفضل من آخره إلا صلاة العشاء، ويأمرون بالخشوع والطمأنينة فيها، عملاً بقول الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

وأهل السنة والجماعة: يتواصون بقيام الليل؛ لأنه من هدي النبي ﷺ، ولأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ بقيام الليل، والاجتهاد في طاعته تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل؛ حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله؛ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟ قال: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**» [رواه البخاري].

وأهل السنة والجماعة: يثبتون في مواقف الامتحان، وذلك بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سخط له السخط**» [صحيح: الترمذي].

وأهل السنة: لا يتمنون البلاء ولا يسألون الله ابتلاءهم؛ لأنهم لا يدرون هل يثبتون فيه؛ أو لا ؟ ولكن إذا ابتلوا صبروا. قال النبي ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا اله العافية؛ فإذا لقيتموهم فاصبروا**» [متفق عليه].

وأهل السنة والجماعة: لا يقنطون ولا ييأسون من رحمة الله عند المحن؛ لأن الله تعالى قد حرم ذلك، ولكن يعيشون أيام البلاء على أمل الفرج القريب والنصر المؤكد؛ لأنهم يثقون بوعد الله، ويعلمون أن مع العسر يسرًا، ويبحثون عن أسباب المحن في أنفسهم، ويرون أن المحن والمصائب لا تصيبهم إلا بما كسبت أيديهم، ويعلمون أن النصر قد يتأخر بسبب الوقوع في المعاصي أو التقصير في الاتباع، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

ولا يعتمدون فى المحن ونصرة الدين على الأسباب الأرضية والإغراءات الدنيوية، والسنن الكونية كما أنهم لا يغفلون عنها،

ويرون قبل ذلك أن تقوى الله تعالى والاستغفار من الذنوب، والاعتماد على الله، والشكر في الرخاء من الأسباب المهمة في تعجيل الفرج بعد الشدة.

وأهل السنة والجماعة: يخافون من عقوبة كفر النعمة وجحدها، ولذا تراهم أحرص الناس شكرًا وحمدًا لله، وأدومهم عليها في كل نعمة صغيرة كانت أو كبيرة، قال النبي ﷺ:

«انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» **[صحيح: الترمذي]**.

وأهل السنة: يتحلون بمكرم الأخلاق، ومحاسن الأعمال. قال النبي ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا؛ أحسنهم خلقًا**» **[صحيح: الترمذي]**.

وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؛ أحسنكم أخلاقًا**» **[صحيح: الترمذي]**.

وقال: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**» **[صحيح: أبو داود]**.

وقال: «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به؛ درجة صاحب الصوم والصلاة**» **[صحيح: الترمذي]**.

ومن أخلاق السلف الصالح
«أهل السنة والجماعة»

* إخلاصهم في العلم والعمل، والخوف من الرياء، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

* تعظيمهم لحرمات الله تعالى، وغيرتهم إذا انتهكت حرماته تعالى، ونصرة دين الله وشرعه، وكثرة تعظيمهم لحرمات المسلمين ومحبة الخير لهم، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

* السعي إلى ترك النفاق بحيث تتساوى سريرتهم وعلانيتهم في الخير، وتقليل أعمالهم في عيونهم من حيث كسبهم لها، وتقديم أعمال الآخرة دائمًا على أعمال الدنيا.

* رقة قلوبهم، وكثرة بكائهم على تفريطهم في حق الله تعالى لعل الله أن يرحمهم، وكثرة الاعتبار والبكاء والاهتمام بأمر الموت إذا رأوا جنازة، أو تذكروا الموت وسكراته وسوء الخاتمة؛ حتى تزلزل قلوبهم.

* زيادة في التواضع كلما ترقى أحدهم في درجات القرب من الله تعالى.

* كثرة التوبة، والاستغفار ليلاً ونهارًا لشهودهم أنهم لا يسلمون من الذنب حتى في طاعتهم؛ فيستغفرون من نقصهم فيها، ومراقبة الله تعالى فيها، وعدم العجب بشيء من أعمالهم،

وكراهيتهم للشهرة؛ بل يرون النقص والقصور في طاعتهم فضلاً عن سيئاتهم.

* شدة تدقيقهم في التقوى، وعدم دعوى أحد منهم أنه متق، وكثرة خوفهم من الله عز وجل.

* شدة خوفهم من الخاتمة السيئة، وعدم غفلتهم عن ذكر الله، وهوان الدنيا عندهم، وشدة رفضهم لها، وعدم الاعتناء ببناء الدور، إلا ما اقتصر منها على ما يدفع الحاجة ومن غير زخرفة.

قال النبي ﷺ: «**والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم؛ فلينظر بم ترجع؟**». [رواه مسلم].

* لا يرضون بالخطأ الذي يمس الدين أو أهله بل يردونه ويلتمسون العذر لمن قال به، إن كان ممن يعتذر له، وكثرة سترهم لإخوانهم المسلمين، وشدة مناقشتهم لنفوسهم في مقام التورع، ولا يحبون أن تظهر لأحد عورة، ويشتغلون بعيوبهم عن عيوب الناس، ويجتهدون في ستر عيوب الآخرين، ويكتمون معاداة الناس ويكثرون من مداراتهم، وعدم مقابلة أحد بسوء؛ فهم لا يعادون أحدًا، قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتات**» [رواه البخاري]. وفي رواية مسلم: «**نمام**».

* سد باب الغيبة في مجالسهم، ويحفظون ألسنتهم منها؛ لئلا يصبح مجلسهم مجلس إثم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

* كثرة الحياء ، والأدب، والتودد، والسكينة، والوقار، وقلة الكلام، وقلة الضحك، وكثرة الصمت، والنطق بالحكمة تسهيلاً على الطالب، وعدم الفرح بشيء من الدنيا، وذلك لكمال عقولهم. قال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن الله واليوم الآخر فليقل خيرًا، أو ليصمت**» **[متفق عليه]**. وقال: «**من صمت نجا**» **[صحيح: الترمذي]**.

* كثرة العفو والصفح عن كل من آذاهم بضرب، أو أخذ مال أو وقع في عرض، أو نحو ذلك، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ **[آل عمران: ١٣٤]**.

*عدم الغفلة عن محاربة إبليس، والاجتهاد لمعرفة مكايده ومصايده، وعدم وسوستهم في الوضوء والصلاة وغير ذلك من العبادات؛ لأن كل ذلك من الشيطان.

*كثرة الصدقة بكل ما فضل عن حاجتهم ليلاً ونهارًا، وسرًا وجهارًا، وكثرة سؤالهم عن أحول أصحابهم، وذلك لأجل أن يواسوهم بما يحتاجون إليه من الطعام، والثياب والمال، وعدم إسرافهم في الحلال إذا وجدوه.

* ذم البخل، والأخذ بالسخاء، والجود، وبذل المال، ومواساة الإخوان في حال سفرهم، وفي حال إقامتهم؛ فإنه بذلك يقع التعاضد في نصرة الدين الذي هو مقصودهم، وشدة محبتهم لاصطناع المعروف إلى الإخوان ،وإدخال بعضهم السرور على بعض، وتقديم إخوانهم في ذلك على أنفسهم.

* إكرام الضيف وخدمته بأنفسهم إلا بعذر شرعي، ثم لا يرون أهم كافؤوه بإطعامه وخدمته بالإقامة عندهم وإحسانهم الظن بـه، وإجابتهم لدعوة إخوانهم إلا من كان طعامه حرامًا، أو إذا خص الأغنياء بالدعوة دون الفقراء، أو كان في مكان الوليمة شيء من المعاصي.

* حسن أدبهم مع الصغير فضلاً عن الكبير، ومع البعيد فضلاً عن القريب، ومع الجاهل فضلاً عن العالم.

* إصلاح ذات البين؛ لأنه من أجود أبواب الخير، وقمة المعروف، ولأن إصلاح ذات البين يفسد خطط الشيطان وغاياته من إيقاع العداوة، والبغضاء بين المسلمين، وإفساد ذات بينهم.

* النهي عن الحسد؛ لأن الحسد يورث العداوة والبغضاء، وضعف الإيمان، وحب الدنيا وما فيها على غير قصد شرعي.

* الأمر ببر الوالدين، والإحسان إليهما، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ **[العنكبوت: ٨]**.

* الأمر بحسن الجوار، والرفق مع العباد، وصلة الرحم، وإفشاء السلام، ورحمة الفقراء والمساكين والأيتام وأبناء السبيل.

* النهي عن الفخر، والخيلاء، والعجب، والبغي، والاستطالة على الخلق بغير حق، والأمر بلزوم العدل في كل شيء.

* عدم التهاون بشيء من الفضائل التي رغبنا الشرع في فعلها.

قال النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» **[رواه مسلم]**.

* النهي عن سوء الظن، والتجسس، واتباع عورات المسلمين؛ لأن ذلك يفسد العلاقات الاجتماعية، ويفرق بين الإخوان، ويزرع الفساد، ولا يغضبون لأنفسهم؛ لأنهم يفقهون أن الغضب لله.

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ **[آل عمران: ١٣٤]**.

إلى غير ذلك من أخلاق النبوة التي ألف الله تعالى بها بين الأعداء؛ فأصبحوا بنعمة الله إخوانا.

اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان والعلم والعمل الصالح، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا.

الهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه نبيك محمد ﷺ.

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء.. اللهم آمين..

